الحكم القيمية

من أُوتي الحكمة فقد أُوتي خيرا كثيرا ، ولا زال العلماء يقولون الحكمة ويعملون بها ، وقد يسر الله جمع جُمَلٍ من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله هي حِكَمٌ للقلب والسلوك ، ومنها :

١.كلما قوي الرجاء جدَّ في العمل ، كما أن الباذر كلما قوي طمعه في المُغل غلَّق أرضه بالبذر .

٢.كلما جُدِّد للعبد له نعمةٌ أحدث لها عبوديةً ومحبة وخضوعا وذلاً ، وكلما أُحدث للعبد قبضٌ أَحدث له رضى ، وكلما أحدث ذنباً أحدث له توبة وانكساراً واعتذاراً فهذا هو العبد الكيِّس .

٣ـ كلما كان المأمور أحب إلى الله سبحانه كان الشر الحاصل بفواته أعظم ، كالتوحيد والإيمان ، لأن المأمور محبوبه والمنهي مكروهه ، ووقوع محبوبه أحب إليه من فوات مكروهه ، وفوات محبوبه أكره إليه من وقوع مكروهه .

٤. أعمال البر تثمر الهدى ، وكلما ازداد منها ازداد هدى ، وأعمال الفجور بالضدِّ ، وذلك أن الله سبحانه يحب أعمال البر فيجازي عليها بالهدى والفلاح ، ويبغض أعمال الفجور ويجازي عليها بالضلال والشقاء .

٥.كلما اتقى العبد ربه ارتقى إلى هداية أخرى ، فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد من التقوى ، وكلما فوَّت حظاً من التقوى فاته حظٌّ من الهداية بحسبه ، فكلما اتقى زاد هداه وكلما اهتدى زادت تقواه .

٦. من علامات السعادة والفلاح : أن العبد كلما زِيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته ، وكلما زِيد في خوفه وحذره ، وكلما زِيد في عمره نقص من حرصه ، وكلما زيد في ماله زيد في سخائه وبذله ، وكلما زِيد في قدره وجاهه زِيد في قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم .

٧. علامات الشقاوة : أنه كلما زِيد في علمه زِيد في كبره وتيهه ، وكلما زِيد في عمله زِيد في فخره واحتقاره للناس ، وحسن ظنه بنفسه ، وكلما زِيد في عمره زِيد في حرصه ، وكلما زِيد في ماله زِيد في بخله وإمساكه ، وكلما زِيد في قدره وجاهه زِيد في كبره وتيهه .

٨ـ فإن النفس كلما وسعَّت عليها ضيقت على القلب حتى تصير معيشةً ضنكاً ، وكلما ضيَّقت عليها وسعَّت على القلب حتى ينشرح وينفسخ .

٩. الفكر مبدأ الإرادة ، وأنفع الفكر الفكرُ في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها ، وفي دفع مفاسد المعاد وفي طرق اجتنابها ، فهذه أربعة أفكار هي أجل الأفكار ، ويليها أربعة: فكرٌ في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها ، وفكرٌ في مفاسد الدنيا ، وطرق الاحتراز منها ، فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء ، ورأس القسم الأول الفكر في آلاء الله ونعمه وأمره ونهيه ، وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه ، وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة ، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها وفي الدنيا وخستها وفنائها أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ، وكلما فكَّر في قصر الأمل وضيق الوقت أورثه ذلك الجدُّ والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام الوقت .

١٠. كلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة من الله له أعظم .

١١ـ كلما شهدت حقيقة الربوبية وحقيقة العبودية، وعرفت الله، وعرفت النفس، وتبين لك أن ما معك من البضاعة لا يصلح للملك الحق، ولو جئت بعمل الثقلين خشيت عاقبته وإنما يقبله بكرمه وجوده وتفضله، ويثيبك عليه أيضا بكرمه وجوده وتفضله.

١٢ـ كلما صغرت الحسنات في عينك كبرت عند الله، وكلما كبرت وعظمت في قلبك قلت وصغرت عند الله، وسيئاتك بالعكس .

١٣. كلما ازدادت معرفة العبد بنقصه وعيبه وفقره وذله وضعفه ، ازدادت معرفته لربه بأوصاف كماله .

١٤. كلما قوي الشعور بالمحبوب اشتد سفر القلب إليه، وكلما اشتغل الفكر به ازداد الشعور به والبصيرة فيه، والتذكر له .

١٥ـ كلما كان العبد حسن الظن بالله، حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة .

١٦. كلما كان بالله أعرف كان توكله عليه أقوى .

١٧ـ كلما كان العبد أشد رضا كان قلبه أسلم ، فالخبث والدغل والغش: قرين السخط ، وسلامة القلب وبره ونصحه: قرين الرضا .

١٨. كلما ازداد حباً ازداد قرباً ، فالمحبة بين قربين: قرب قبلها، وقرب بعدها ، وكلما ازداد منه قربا لاح له من جلاله وعظمته ما لم يشاهده قبل ذلك .

١٩ـ فإن تحقيق العبودية التي هي معنى العبد لا يكون إلا بفقد النفس الحاملة للحظوظ ، فمتى فقدت حظوظها تمحصت عبوديتها ، وكلما مات منها حظٌّ حيي منها عبودية ومعنى ، وكلما حيي فيها حظٌّ ماتت عبودية، حتى يعود الأمر على نفسين وروحين وقلبين: قلب حي، وروح حية بموت نفسه وحظوظها، وقلب ميت، وروح ميتة بحياة نفسه وحظوظه. وبين ذلك مراتب متفاوتة في الصحة والمرض، وبين بين، لا يحصيها إلا الله عز وجل .

٢٠ـ قوة الأنس بالله وضعفه: على حسب قوة القرب ، فكلما كان القلب من ربه أقرب كان أنسه به أقوى ، وكلما كان منه أبعد كانت الوحشة بينه وبين ربه أشد .

٢١ـ كلما كان القلب أتمَّ حياةً كانت همته أعلى وإرادته ومحبته أقوى، فإن الإرادة والمحبة تتبع الشعور بالمراد المحبوب .

٢٢ـ كلما غلبت عليه دواعي النفس خنست دواعي الخير ، وهكذا حتى تستحكم الغفلة في قلبه .

٢٣ـ كلما كثرت طاعاته كثرت توبته واستغفاره .

٢٤. كلما كان العبد أقرب إلى الله كان خوفه منه أشد، لأنه يطالب بما لا يطالب به غيره، ويجب عليه من رعاية تلك المنزلة وحقوقها ما لا يجب على غيره .

٢٥. كلما كان العبد بالله أعرف كان به أرضى .

٢٦. كلما كان العبد أعظم إخلاصاً كان أبعد عن الفواحش .

٢٧. كلما صحَّ القلب من مرضه ترحَّل إلى الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها، حتى يصير من أهلها.

٢٨. كلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله تعالى كان اعتراض الشيطان له أكثر.

٢٩ـ كلما قوى إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمان العبد قوى خوفه منهم .

٣٠. كلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص كانت محبته بعشق الصور أشد، وكلما كان أكثر إخلاصا وأشد توحيداً، كان أبعد من عشق الصور .

٣١. كلما كان القلب أحيى كان الحياء أتم.

٣٢ـ إن القلب تطرقه طوارق الشَّهَوَات الْمُخَالفَة لأمر الله ، وطوارق الشُّبُهَات الْمُخَالفَة لخبره ، فبالصبر يدْفع الشَّهَوَات وباليقين يدْفع الشُّبُهَات .

٣٣ـ إِنَّ القَلبَ الحيَّ الْمُسْتَنِيرَ هُوَ الَّذِي عَقَلَ عَنِ اللَّهِ، وَأَذْعَنَ وَفَهِمَ عَنْهُ، وَانْقَادَ لِتَوْحِيدِهِ، وَمُتَابَعَةِ مَا بُعِثَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

٣٤ـ إن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية ، فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه فيصير شهوة ويزينها له ، ويحسنها ويخيلها له في خيال تميل نفسه إليه ؛ فيصير إرادة ، ثم لا يزال حتى يكون عزيمة .

٣٥. إِنَّ القَلبَ إِذَا فَسَدَ فَسَدَتِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ وَاللِّسَانُ، فَيَرَى الْقَبِيحَ حَسَنًا .

٣٦ـ إن القلب لا بد له من التعلق بمحبوب ، فمن لم يكن الله وحده محبوبه وإلهه ومعبوده فلا بد أن ينعقد قلبه لغيره .

٣٧ـ إن القلب النجس كالبدن العليل المريض، لا تلائمه الأغذية التي تلائم الصحيح.

٣٨ـ قد يمرض القلب ويشتد مرضه، ولا يعرف به صاحبه، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه، وتألم بجهله بالحق بحسب حياته .

٣٩ـ إن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى ، وانتصاره للدين أكمل .

٤٠ـ إن القلب إذا كان خالياً من معرفة الحق واعتقاده والتصديق به ومحبته كان معرضاً لاعتقاد نقيضه والتصديق به لا سيما في الأمور الإلهية التي هي غاية مطالب البرية .

٤١. من عرف الله بأسمائه وصفاته أحبه لا محالة .

٤٢. من ملأ قلبه من الرضا بالقدر ملأ الله صدره غنى وأمناً وقناعة ، وفرغ قلبه لمحبته ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، ومن فاته حظه من الرضا امتلأ قلبه ب ضد ذلك .

٤٣. لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده .

٤٤. لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة ، فيتشربها فلا ينضح الا بها ، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها ، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته .

٤٥.كن ممن إذا أُنعم عليه شكر ، وإذا ابتلي صبر ، وإذا أذنب استغفر .

٤٦. لا طريق إلى الله أقرب من العبودية ، ولا حجاب اغلظ من الدعوى .

٤٧ـ إذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس ، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما .

٤٨. قد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب فإذا غضَّ بصره ، غضَّ القلب شهوته وإرادته .

٤٩. ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل فيه .

٥٠. من أدلج في غياهب الليل على نجائب الصبر أصبح في منزل السرور ، ومن نام على فراش الكسل أصبح ملقى بوادي الأسف .

٥١ـ إضاعة القوت أشد من الموت ، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها .

٥٢. منزلة التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها فلا يفارقه العبد السالك ، ولا يزال فيه إلى الممات ، وإن اترحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به ، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته ، وحاجته إليها في النهاية ضرورية كما أن حاجته إليها في البداية كذلك .

٥٣ـ من غضَّ بصره عما حرم الله عز وجل عوضه الله من جنسه ماهو خير منه ، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه .

٥٤. إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله .